

فتح القدير

قوله : 31 - { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله } الأحبار : جمع حبر وهو الذي يحسن القول ومنه ثوب محبر وقيل : جمع حبر بكسر الحاء قال يونس : لم أسمع إلا بكسر الحاء وقال الفراء : الفتح والكسر لغتان وقال ابن السكيت : الحبر بالكسر العالم والحبر بالفتح العالم والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة وهم علماء النصارى كما أن الأحبار علماء اليهود ومعنى الآية أنهم لما أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابا لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب قوله : { والمسيح ابن مريم } معطوف على رهبانهم : أي اتخذ النصارى ربا معبودا وفيه إشارة إلى أن اليهود لم يتخذوا عزيز ربا معبودا وفي هذه الآية ما يزرع من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فإن طاعة المذهب لمن يقتدي بقوله ويستنبط بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبيأؤه هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أربابا من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحلوا ما حللوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانبا وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وأفاده فعلتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق ولم تعضد بعض الدين ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه فأعرتموهما آذاننا صما وقلوبا غلفا وأفهاما مريضة وعقولا مهیضة وأذهانا كليلية وخواطر عليلة وأنشدتم بلسان الحال :

(وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد) .

فدعوا أرشدكم الله وإياي كتبها كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالفكم وخالفكم ومتعبدكم ومتعبدكم ومعبودهم ومعبودكم واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءكم به من الرأي بأقوال إمامكم وإمامهم وقدوتكم وقدوتهم وهو الإمام الأول محمد بن عبد الله .

(دعوا كل قول عند قول محمد ... فما آبن في دينه كمخاطر) .

اللهم هادي الصال مرشد التائه موضح السبيل اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب وأوضح لنا منهج الهداية قوله : { وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا } هذه الجملة في محل نصب

على الحال : أي اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا والحال أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله وحده أو وما أمر الذين اتخذوهم أربابا من الأحبار والرهبان إلا بذلك فكيف يصلحون لما أهلوهم له من اتخاذهم أربابا قوله : { لا إله إلا هو } صفة ثانية لقوله إلهها { سبحانه عما يشركون } أي تنزيها له عن الإشراك في طاعته وعبادته